﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٤﴾ [الرّوم: 24]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الرّؤية والمشاهدة من وسائل الاتّعاظ بالآيات

لمّا خَتَم اللّهُ بالسّمع آيةً جَمَعت آياتِ الأنفُس والآفاق، لكونها نَشَأت مِن أحوال البشر والخافقين، افتتح بالرّؤية آيةً أخرى جامعةً لهما؛ لكونها ناشئةً عنهما مع كونها أدلَّ على المقصود لجمعها بين التّرغيب والتّرهيب[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُرِيكُمُ﴾: (رأى) أصلٌ يَدُلُّ على نَظَرٍ وإبصارٍ بِعَينٍ أوْ بَصيرَةٍ، والرُّؤْيَةُ: إدراك المَرْئيِّ، وذلك أضرُبٌ بحسب قوى النَّفس؛ فالأوَّلُ: بالحاسَّة وما يجري مجراها، نحو: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ٧﴾ [التّكاثر: 6 - 7]، والثّاني: بالوَهْم والتَّخيُّل، نحو قوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: 50]، والثّالث: بالتَّفكُّر، نحو: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ [الأنفال: 48]، والرّابع: بالعَقل، وعلى ذلك قولُه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾ [النجم: 11][2]، والرُّؤْيَةُ بِالْعَيْنِ تَتَعَدَّى إلى مَفْعولٍ واحِدٍ، وبِمعنى العِلْم تَتَعَدَّى إلى مَفْعولَيْنِ، والمقصود بالإراءة في الآية: إراءةٌ بصريَّة، والمُرادُ: المعنى المصدري، فكأنَّه قيل: ومن آياته إراءتُكم البَرق[3].

2) ﴿ٱلۡبَرۡقَ﴾: (برق) أصلٌ يدلُّ على لَمَعانِ الشَّيْءِ، والبَرْقُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 72.
(2) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والزّبيديّ، تاج العروس: (رأى).
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 43.

وميضُ السَّحابِ، يُقالُ: بَرَقَ السَّحابُ بَرْقًا وبَريقًا، إذا لَمَع[1]، ويُقال: مَرَّتْ بِنا اللَّيْلَةَ بَرّاقةٌ وبارقة، أي: سَحابَةٌ ذات بَرْقٍ[2]، وسُمّيت السّيوف بارقةً وبوارق تَشْبيهًا بالبَرْقِ، وكلُّ شيءٍ يتلألأ فهو بارقٌ[3]، والمراد بالبرق في الآية: ما يراه الرّائي من نورٍ لامعٍ يظهر مِن خلال السَّحاب[4].

3) ﴿خَوْفًا﴾: (خوف) أصلٌ يَدُلُّ على الذُّعْرِ والفَزَعِ، يُقالُ: خِفْتُ الشَّيءَ خَوْفًا وخيفَةً، والياءُ مُبدَلَةٌ مِن واوٍ لِمَكانِ الكَسرَةِ[5]، والتَّخْويفُ والإخافَةُ: الإفْزاعُ والإرْهابُ[6]، وضِدُّه: الأمْنُ، وقيل أصْلُ الخَوف: النَّقْصُ، يُقال: تَخَوَّفْناهُم، أي: تَنَقّصْناهُم، وناقَةٌ خَوْفاءُ، أي: ناقِصَةٌ بِها داءٌ[7]، والمقصودُ بالخَوفِ في الآيةِ: تَوَقُّعُ حُصولِ ما تَكْرَهُهُ النَّفْسُ، وهوَ ضِدُّ الأمْنِ.

4) ﴿وَطَمَعًا﴾: أصلُ (طمع) الرَّجاءُ القَويُّ في القَلْبِ، يُقالُ: طَمِعَ في الشَّيْءِ، طَمَعًا وطَماعَةً: إذا قَوِيَ رَجاؤُهُ فيهِ[8]، ويأْتي بِمعنى الأمَلِ، وأكْثَرُ ما يُستعمَلُ فيما يَقْرُبُ حُصولُهُ، وضِدُّه: اليَأْسُ، والطمع: نزوع النّفس إلى الشّيء شهوةً له، ويُطلق على الحِرصِ الشَّديدِ، يُقالُ: طَمِعَ في الشَّيْءِ: إذا اشْتَدَّ حِرْصُهُ عليه، والطّامِعُ والطَّمِعُ: الحَريصُ، والطَّمّاعُ: الكَثيرُ الطَّمَعِ، ويُطْلَق على الرِّزْقِ، فيُقال: أخَذَ الجُنْدُ أطْماعَهُم، أيْ: أرْزاقَهُم[9]، والمقصود بالطَّمعِ في الآية: اشْتِهاءُ النَّفْسِ لِلشَّيْءِ وحِرْصُها لِلْحُصولِ عليه، وهو يُرادفُ الرَّجاءَ، أي: يَطمعونَ في نُزولِ المَطَرِ[10].

5) ﴿يَعْقِلُونَ﴾: (عقل) أصلٌ يدُلُّ على حُبْسَةٍ في الشَّيْءِ، أو ما يُقارِبُ الحُبْسَةَ، مِنْ ذلك العَقْلُ، وهو الحابِسُ عَنْ ذَميمِ القَوْلِ والفِعْلِ[11]، وهو ضِدُّ الحُمق والجَهل[12]، والمعقولُ:

(1) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (برق).
(2) ابن سيده، المحكم: (برق).
(3) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (برق).
(4) طنطاويّ، التّفسير البسيط: 7/ 455.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خوف).
(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (خوف).
(7) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 428.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طمع).
(9) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (طمع)، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 228.
(10) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 78.
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم: (عقل).
(12) الخليل، العين: (عقل).

ما تَعْقِلُه في فؤادك، ويأتي العَقْلُ بمعنى: الفَهْم والتَّمييز، يُقال: عَقَل الشَّيء يعقله عقلًا، أي: فهِمَهُ، والعَقْلُ أيضًا: الشَّدُّ والرَّبطُ، تقولُ: عَقَلَ الدّابَّة، أي: شدَّها ورَبطَها[1]، والجَمع: عُقولٌ، ومعنى التَّعقُّل في الآية: التَّدبُّر والتَّفكُّر.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

آيات الله سبيل في زيادة إيمان المؤمنين وعقاب الظّالمين

ومِن العَلاماتِ الدّالَّةِ على عَظمةِ اللّه تعالى وغَيرِها مِن صفاتِهِ الحسنى: أنَّه يريكم البرقَ الخاطف الذي يظهر بين السُّحُب المتراكمة، فتخافون ممّا فيه منَ الصَّواعق، وتطمعون فيما يجلبه من الماء الَّذي ينزل من السَّماء، فيُحيى الأرضَ الميتة التي لا زرع فيها ولا شجر، فيُخْرج زرعَها وشجرَها بعد جدبها، إنَّ في ذلك الَّذي سلَف ذِكرُه لبرهانًا قاطعًا، ودليلًا ساطعًا، على البعث والنُّشور، وقيام السّاعة لقوم يستخدمون عقولهم في إدراك تلك الحقائق الكونية، فإنَّ أرضًا هامدة لا نبات فيها ولا شجر، يجيئها الماءُ فتهتزّ وتربو وتنبت من كلِّ زوجٍ بهيج، لهيَ المثالُ الواضح، والدَّليلُ اللائح، على قُدرة مَن أحياها على إحياء العالَم بعد موته، حين يقوم النّاسُ لربِّ العالَمين[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة الوصل في: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾:

إضافة آياتٍ أخرى دالّةٍ على البعث والنّشور

وُصِلَ قولُه تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ بما قبلَه بحرف الواو الدّالّ على الجمع والاقتران، فهذه هي الآيةُ الخامسةُ من دلائل قدرته سبحانه، وهي متعلّقة بالإنسان وليست مُتّصلةً به، فإنّ البرق آيةٌ مِن آياتِ صُنع اللّه، وهو مِن خَلْقِ القوى

(1) الرّاغب، المفردات: (عقل).

(2) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 482، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 310، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 74، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 41، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 640.

الكهربائيَّة النّورانيَّة في الأسحبة، وجَعْلِها آثارًا مُشاهَدَةً، وكم مِن قوًى أمثالها منبثّةٌ في العوالم العلويّة لا تُشاهَد آثارُها[1].

دلالة تعلّق الجارّ والمجرور ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾:

ذِكْرُ بعضِ الآيات الباهرة الدّالةِ على القوّة القاهرة

يختلف معنى (مِن) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ حسبَ التّعلّق، فإذا تعلّق الجارّ والمجرور ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ بـ﴿يُرِيكُمُ﴾ فيكون في موضع نصب، وتكون (مِن) لابتداء الغاية، أو يكون ﴿يُرِيكُمُ﴾ على إضمار (أن)، فلمّا حُذف (أن) ارتفع الفعل، فيكون التّقدير: (ومن آياته إراءتُه إيّاكم البرقَ)، فـ(من آياته) في موضع رفعٍ على أنّه خبر المبتدأ، وقال الرّمّانيّ: "يحتمل أن يكون التّقدير: (ومن آياته يريكم البرق بها)، وحُذف لدلالة (مِن) عليها، وعلى هذه الأوجه يكون حرف الجرّ (مِن) للتّبعيض[2]، وفائدة هذا الأسلوب الإشعارُ بأنَّ كلَّ آيةٍ منها آيةٌ خارجةٌ مِن جنس الآيات، مستقلّة بشأنها، مقصودة بذاتها[3].

نُكْتَةُ التّعبير بالآيات دون الدّلائل:

الآيات علاماتٌ ظاهرةٌ موصلةٌ إلى الاعتبار

أوثِرَ التّعبيرُ بالآيات دون الدّلائل في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾؛ لاختصاص الآيات بكونها علاماتٍ ظاهرةً تكون سببًا لإدراك أمرٍ آخَرَ لا يتمّ إدراكُه إلّا بوجودها، في حين أنّ الدّلائل تُفيد الظّنّ، وقد تكون واضحةً وقد لا تكون[4]، وفي مقام ذِكْر البرق ونزول الماء مِن السّماء يكون المناسِبُ التّعبيرَ بالآيات لظهورها ووضوحها؛ فلا يخفى على ذي عينين هذه المشاهد، وقد جاء لفظُ (الآيات) جمعًا للدّلالة على كثرة آيات الله سبحانه في آية البرق ونزول الماء من السّماء، فكلُّ واحدةٍ منهما تحمل في طيّاتها آياتٍ عديدة تُدَلِّلُ على وحدانيَّته سبحانه.

(1) الهرريّ، حدائق الرَّوْح والرَّيحان: 22/ 106.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 382.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 31.
(4) الرّاغب، المفردات: (أي)، والعسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 97.

دلالة الإضافة في ﴿ءَايَٰتِهِۦٓ﴾:

تعظيمُ قَدْرِ الآيات وتشريفُ منزلتها

أُضيفت الآياتُ في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ إلى الضمير العائد على الله ﷻ باعتباره أنّه مصدرها سبحانه، وللدّلالة على تعظيم قَدر هذه الآيات وتشريف منزلتها، إذ إضافة الأعيان إلى الله تُفيد التّشريفَ، كبيت الله، وناقة الله[1].

نُكْتَةُ تقديمِ شبهِ الجملة ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾:

الاهتمام بآيات الله سبحانه والتّنويه بشأنها

تقدّم الجارّ والمجرور ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ للاهتمام بآيات الله سبحانه والتّنويه بشأنها؛ وذلك لأنّ السّياق القرآنيّ هو في الاستدلال على وحدانيّة الله ﷻ وقدرته على البعث، وفي التّقديم تعريضٌ بالمشركين؛ لأنّهم يُشركون مع الله ما لا يستطيع أن يأتيَ بآيةٍ مِن هذه الآيات.

دلالةُ التّعبير بـ﴿ٱلْبَرْقَ﴾ في الآية:

إثارةُ البرقِ الخوفَ والطّمعَ في النّفوس

عُبِّرَ بلفظ ﴿ٱلْبَرْقَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾، والنُّكْتَة في ذلك: أنّ مِن الحِكَم الإلَهيّة في كون البرق مرئيًّا أنّ ذلك يُثير في النّفوس خوفًا مِن أن يكون اللّهُ سَلَّطَهُ عقابًا وطمعًا في أن يكون أراد به خيرًا للنّاس، فيَطمعون في نزول المطر، ولذلك أعقبه بقوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، فإنّ نزول المطر ممّا يخطر بالبال عند ذِكر البرق[2].

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلْبَرْقَ﴾:

استحضارُ حقائق الأشياء بالعهد الذّهنيّ

جاء لفظُ ﴿ٱلْبَرْقَ﴾ مُعرَّفًا بـ(أل) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾؛ لدَلالته على تعريف الجنس المقتضي للعموم، ويسمّيها البلاغيّون (لام الحقيقة)، وتسمّى أيضًا لامُ العهد الذّهني[3]، وهي التي تُبيّن الحقيقة بقطع النّظر عن الأفراد، وهي

(1) ابن أبي العزّ، شرح الطّحاويّة، ص: 129.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 78.
(3) الخطيب القزوينيّ، الإيضاح: 2/ 21.

تعرّف حقيقةً ذهنيّةً يراد بها فردٌ مُبهَمٌ مِن أفراد الحقيقة، باعتبار عهديّته في الذّهن؛ لاشتمال الحقيقة عليه كما في قوله: ﴿أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ [يوسف: 13]، وقولِهم: (ادخل السّوق)[1].

نُكْتَةُ تقديم ﴿ٱلۡبَرۡقَ﴾ على نزول الماء:

الأخذ بالأسباب والإعداد لها منهجٌ قرآنيٌّ

نُكتة تقديم البرق على إنزال ماء السّماء في قوله تعالى: ﴿يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ أنّه كما أنّ في إنزال المطر وإنبات الشّجر منافعَ، فكذلك في تقدُّم البرقِ والرّعد على المطر منفعةٌ؛ وذلك لأنّ البرق إذا لاح فالّذي لا يكون تحت كِنٍّ يخاف الابتلالَ فيستعدّ له، والّذي له صهريجٌ أو مصنعٌ يحتاج إلى الماء أو زرع يُسوّي مجاريَ الماء، وأيضًا كانت العرب مِن أهل البوادي لا يعلمون البلاد المُعشِبة إن لم يكونوا قد رأوا البروق اللّائحة مِن جانبٍ دون جانب.

وفوائد البرق وإن لم تظهر للمُقيمين بالبلاد فهي ظاهرةٌ للبادين، ولهذا جُعل تقديم البرق على تنزيل الماء من السّماء نعمةً وآيةً، فأمّا كونه نعمةً فقد تقدّم وجهها، وأمّا كونه آية فظاهرٌ أيضًا، فإنّ السّحاب ليس إلّا ماءً وهواء، وخروج النّار منها بحيثُ تُحرق الجبال في غاية البعد، فلا بدّ له من خالق، وهو الله[2].

بلاغة الجمع في قوله: ﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾:

إثارةُ رؤيةِ البرق المخاوفَ من الأضرار، والطّمعُ في الأمطار

جمع القرآنُ الكريم بين الخوف والطّمع في قوله تعالى: ﴿يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾؛ وذلك لأنّ الخوف يعبِّرُ عن حالة الإنسان عندما يشاهد البرقَ، فيكون مضطربًا غيرَ آمن؛ أمّا الطّمع فيكون لتوقُّع الخير، وهو ما يأتي بعد البرق مِن نزول الماء؛ لذلك كان الجمع باعتبار الآثار المترتِّبة وليس باعتبار التّضادّ، وفيه أيضًا تعريضٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 263.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 94.

بالمشركين الذين يخافون من مخلوقٍ، وهو البرق، والأولى بهم أن يخافوا من الخالق سبحانه الذي خلق البرق.

دلالة حذف متعلّق ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾:

تَـعـدُّدُ أنـواعِ الخوف والطّمع حسبَ المُخاطَب

حُذِف متعلّقُ ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ في قوله تعالى: ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قصدًا للعموم، لكي لا يقصرَهما السّامعُ على نعمةٍ دون أخرى، فقال بعضُهم: يريكم البرق إخافةً مِن الصّاعقة، خصوصًا لِمن كان في البرّيّة من أبناء السّبيل، وإطماعًا في الغيث، لا سيما لَمن كان مقيمًا، وقيل: خوفًا مِن البَرْدِ أن يهلك الزّرع، وطمعًا في المطر أن يحييَ الزّرع، وكلُّها – وغيرها – أوجهٌ سائغةٌ[1].

الأوجه الإعرابيَّة في لفظَي ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾:

إثـراءُ المعاني الدّلاليّة بتنوّع الوجوه الإعرابيّة

ذهب المُعْربون في إعراب قوله تعالى: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ مذاهبَ شتّى، فقال فريقٌ: هما مفعولان لأجله، بمعنى الإخافة والإطماع، كقوله: فعلته رَغمًا للشّيطان؛ أي: إرغامًا له، وهذا على مذهب من لا يشترط في نصب المفعول له اتّحادَ المصدر والفعلِ المعلّل في الفاعل، والخوفُ والطّمع ليسا كذلك، وأمّا على مذهب المشترطين لذلك فقيل في توجيهه: إنّ ذلك على تقدير مضافٍ، أي: إرادةَ خوفٍ وطمع، أو على تأويل الخوف والطّمع بالإخافة والإطماع، إمّا بأن يُجعَل أصلُهما ذلك على حذف الزّوائد، أو بأن يُجعَلا مجازَين عن سببيهما[2]، كما يجوز أن يكونا حالين، أي: خائفَين وطامِعَين[3].

دلالة (الواو) في قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾:

إتباعُ رؤية البرق بنزول المطر

وُصِلَ قولُه تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ بما قبلَه بحرف الواو الدّالّ على الجمع والاقتران، فهذه آيةٌ أخرى مِن آيات الله العظيمة ودلائل قدرته، وهي آيةُ إنزال الماء من السّماء وإحياءِ الأرض بعد

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 334، والهرريّ، حدائق الرَّوْح والرَّيحان: 22/ 127.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 31.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 475.

موتها، ولـمّا كان البرقُ غالبًا مِن المُبشِّرات بالمطر، وكان ما ينشأ عن الماء أدلَّ شيءٍ على البعث، أتبعه شرحَ ما أشار إليه به من الطّمع[1].

ذِكْرُ القراءات المتواترة في ﴿وَيُنَزِّلُ﴾:

تكثير المعاني الدّلالية بتنوّع القراءات القرآنيّة

قرأ الجمهور في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ لفظ ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بياء تحتيّة مضمومة، وفتح النّون وتشديد الزّاي مكسورة من فِعل (نَزّل)، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بسكون النّون وتخفيف الزّاي مكسورةً ﴿وَيُنزِلُ﴾ مِن فِعل (أنزل)[2]، وقد ذهب بعض العلماء إلى التّفريق بين مصدَرَيهما: (أنزل إنزالًا، ونَزَّلَ تَنْزِيلًا) مِن حيثُ المعنى، فقالوا: إنّ الإنزالَ يكون جملةً واحدةً، والتّنزيلُ يكون مُنَجَّمًا[3]، وهذا مِن اختلاف التّنوّع والإثراء.

دلالة المضارعة في الفعل ﴿وَيُنَزِّلُ﴾:

تَجدُّدُ نزولِ المطر رحمةٌ للعباد

جاء التّعبيرُ بالفعل المضارع ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾؛ للدّلالة على التّجدّد والتّكرار، للإشعار بأنّ إنزال المطر من السّماء رحمةٌ للمخلوقات، ونعمةٌ متجدِّدةٌ يمتنّ بها اللّهُ سبحانه على عباده.

دلالة ﴿مِنَ﴾ في القيد ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾:

مبدأ الأمطار من السّماء، ومنتهاه إلى الأرض

ورد في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ حرفُ الجرّ (مِن)، وهو دالٌّ على ابتداء الغاية، أي: أنزل من جهة السّماء[4]، فإنّ المطر مبدأُ إنزالِه من السّماء، ومنتهاه إلى الأرض والمخلوقات التي عليها، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِۦَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ [الفرقان: 48 - 49].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 73، والهرريّ، حدائق الرَّوْح والرَّيحان: 22/ 128.
(2) ابن الجزريّ، النّشر: 2/ 219.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 311.
(4) السّمين، الدّرّ المصون: 2/ 202.

دلالة تعريف ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ في الآية:

السّماء الدّنيا مصدرُ نزولِ الماء دونَ غيرها من السّماوات

جاء لفظ ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مُعرَّفًا بـ(أل) الدّالّةِ على تعريف العهد الذّهنيّ، وهي تَعَرُّفُ حقيقةٍ ذهنيّةٍ يُراد بها فرْدٌ مبهمٌ من أفراد الحقيقة، باعتبار عهديّته في الذّهن لاشتمال الحقيقة عليه[1]، فالمطرُ لا ينزل إلّا من السّماء الدّنيا دونَ غيرها من السّماوات، فينزلُ من أفق واحد من بين سائر الآفاق؛ لأنّ كلّ أُفُق من آفاقها سماء، كما أنّ كلّ طبقة من الطّباق سماء، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ [فصّلت: 12][2].

نُكْتَةُ تقديمِ الجارّ والمجرور ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾:

التّأكيد على عظمة السّماوات وما فيها من آيات بيّنات

تَقَدُّمُ الجارِّ والمجرور ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ على المفعول في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ لنُكْتَة الاهتمام بمكان نزول المطر، فالسّماءُ آيةٌ عظيمةٌ مِن آيات اللّه بما تشتمل عليه مِن معجزاتٍ؛ كرفعها مِن غير عَمَد، واتّساعِها، وإتقانِها، وإنزالِ المطر منها، ونجومِها، وغيرِ ذلك؛ وقد تكرّر في القرآن التّنويهُ بشأن آية السّماء، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾ [ق: 6].

دلالة التّنكير في ﴿مَآءً﴾:

الماء النّازل من السّماء كثيرٌ غزيرٌ

جاء في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ لفظ ﴿مَآءً﴾ نكرةً، والنّكتة في تنكيره التّكثيرُ المناسب لسياق الامتنان على الإنسان في الآية، فالماء النّازل من السّماء كثيرٌ غزيرٌ، يملأ الأراضيَ والوديان والأنهار، ويُروي الأناسيَ والأنعامَ وسائر المخلوقات.

دلالة التّعبير بـ(الفاء) في: ﴿فَيُحۡيِۦ﴾:

سرعةُ حياة الأرض بالنّبات بعد إنزال الغيث

عُطِف قولُه تعالى: ﴿فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ على ما قبله بحرف الفاء دون غيره؛ لدلالته على التّرتيب والتّعقيب، وفيه دلالةٌ

(1) الخطيب القزويني، الإيضاح: 2/ 21.
(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 01/ 82.

على سرعة النّبات[1]، بمعنى: أنّ إحياء الله ﷻ للأرض بالنّبات، وما يتفتَّقُ من زَهْرٍ، ويكتَمِل من ثَمَرٍ، يكون عقِبَ إنزالِ المطر عليها، وتعقيبُ كلِّ شيءٍ بحسبه.

نُكْتَة المضارع في الفعل ﴿فَيُحْيِۦ﴾:

استحضار الحالة العجيبة لآيات الله المهيبة

جاء الفعل ﴿فَيُحْيِۦ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ بصيغة المضارع؛ للدّلالة على أنّ هذا الفعل مِن إنزال المطر وإحياء الأرض يتجدّد ويتكرّر في كلّ آنٍ، كما أنّ الإتيان بصيغة المضارع يفيد استحضارَ الحالةِ العجيبة وتصويرَها في النّفوس، وإدخالَ المهابةِ عليها، إذ إحياءُ الأرض بعد موتها دليلٌ ظاهرٌ على البعث والنّشور بعد الموت، وآيةٌ عظيمةٌ على استحقاق الخالق سبحانه التّعظيمَ والإفرادَ بالعبادة[2].

دلالة (الباء) في القيد ﴿بِهِ﴾:

سببُ الإنبات نزولُ الأمطار

دلّ حرفُ الباء من لفظ ﴿بِهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ على معنى السّببيّة[3]، والمعنى: أنّه بسبب الماء النّازل من السّماء، يحيي اللهُ الْأَرْضَ بأن يُخرج سبحانه بهذا الماء النّباتَ منها، فتكون السّماء كالذَّكَر، والأرضُ كالأنثى، ويجوز أيضًا أن تكون باءَ الآلة[4].

نُكْتَة تقديم الجارّ والمجرور ﴿بِهِ﴾:

قصرُ حياةِ الأرض على نزول المطر من السّماء

تَقَدُّمُ الجارِّ والمجرور ﴿بِهِ﴾ على المفعول ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ لنُكْتَةِ الاختصاص، فمِن سُنَنِه سبحانه في هذه الدّنيا أن قَصَر حياة الأرض على نزول المطر من السّماء، وكلُّ المياه الجوفيّة الأخرى النّابعة من الأرض فرعٌ عنه، فهو

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 2/ 202.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 68.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 34.
(4) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 2/ 202.

مصدرُها، كما يحتمل أن يكون التّقديمُ لنُكْتَةِ الاهتمام بماء السّماء؛ إذ هو من آيات اللّه البديعة في هذا الكون.

دلالة (أل) في ﴿ٱلْأَرْضَ﴾:

تعريف الجنس يقتضي العموم والجمع

جاء لفظ ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ مُعَرَّفًا بـ(أل) الدّالَّة على الجنس، فإحياءُ الأرضِ المَوات بالغيث عامٌّ في كُلِّ أرضٍ، فالأرض بهذا المعنى اسمُ جنسٍ صادق على شائع متعدّد، وبهذا الإطلاق جُمِعَت على (أرَضين)، وقد يُقال: إنّ (أل) هنا دالَّةٌ على تعريف العهد الذّهني، وهي تَعَرُّفُ حقيقة ذهنيّة يُرادُ بها فرْدٌ مُبْهَمٌ من أفراد الحقيقة باعتبار عهديّته في الذّهن؛ لاشتمال الحقيقة عليه[1]، فالأرضُ التي تحيا بالمطر هي الأرض المعهودة، التي لها أهليّةُ الإنبات دونَ غيرها من مجموع الأرَضين السّبع.

دلالة الظّرفيّة في قوله: ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾:

صِحَّة وصفِ الجمادِ بالمَوْت والاستدلال به على البعث

وُصِفت الأرضُ بالموت في قوله تعالى: ﴿فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾، فذهب جماعةٌ من أهل العلم إلى أنَّ إطلاق الموتِ على ما لم تَحُلَّه حياةٌ هو مِنْ باب المجازِ؛ فلا يصحُّ عِنْدَهُم وصفُ الجمادِ مثلًا بالموتِ حقيقةً، ونُكْتَةُ وصف الأرض بالموت الاستدلالُ على البعث[2]، وقالت طائفة أخرى من العلماء: إنَّ ذلك ليس من بابِ المجازِ، بل هو حقيقةٌ، فالعربُ تصف الجمادَ بالموتِ، وبذلك جاء القرآن الكريمُ، كما في قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النّحل: 20 - 21]، "فهذا في الأصنام، وهي مِنَ الجمادات، وقد وُصِفَتْ بالموت"[3]، فالموت: عدمُ الحياة مطلقًا، لا عدَمُها عمّا هي مِنْ شأنه[4].

(1) الخطيب القزوينيّ، الإيضاح: 2/ 21.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/ 214.
(3) ابن تيميَّة، النُّدمريَّة، ص: 160، ومحمَّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/ 186.
(4) الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 2/ 108.

بلاغة الاستعارة في وصف الأرض:

تشبيه الأرض بالأحياء في قبول الحياة والموت

وُصِفت الأرضُ في قوله تعالى: ﴿فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ بالحياة والموت، والمقصود بإحيائها: إخراج النّبات الأخضر منها، وإخراجُ الطّعم منَ النّبات، وما جرى هذا المجرى، والمقصود بموتها: يُبْسُها وجَفافُها، ووَصْفُ الأرضِ بالحياة عند بعض العلماء مجازٌ، بجامعِ قَبولِ الزّيادةِ والنّماء في كلٍّ، وكذلك ضِدّه من إطلاق صفة الموت عليها، فهو من باب الاستعارة، كأنّه لمّا لم تظهر آياتُ حياةِ الأرض الكامنةِ فيها منَ النَّماءِ والاخضرار وغيرِها سُمّيت مَيّتة، أو فارقَتها صفة الحياة[1].

بلاغة الطباق بين الفعل ﴿فَيُحۡيِۦ﴾ والاسم ﴿مَوۡتِهَآۚ﴾:

توضيح المعنى بالجمع بين الضّدّين

يتضمّن قولُه تعالى: ﴿فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ طباقًا بديعًا بين لفظَتي ﴿فَيُحۡيِۦ﴾ و﴿مَوۡتِهَآۚ﴾، وهو مُحسّنٌ معنويٌّ يوضّح كمالَ قدرتِه سبحانه، والغرضُ منه: زيادة الامتنان على الإنسان، فإنّ مَن شاهد موتَ الأرضِ عرفَ قيمةَ حياتها، وكذلك فبينَ تقابلِ الحياة والموت وتخالفِهما تضادٌّ يُثير الذّهنَ ويجذبُ الانتباه، ويزيدُ الكلامَ حُسْنًا وطَرافةً، كما يُقوّي المعنى، إذ بضدّها تتمايز الأشياء، وكلّ ذلك لزيادة التّعجيب من قدرة الله سبحانه.

دلالةُ نسبة الإحياء لله دونَ الموت:

التّأدّب في خطاب الله ﷻ

يُلحَظ في قوله تعالى: ﴿فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ إسنادُ الإحياء إليه تعالى بقوله: ﴿فَيُحۡيِۦ﴾، وإضافةُ الموت إلى الأرض ﴿مَوۡتِهَآۚ﴾، مع كونه الفاعلُ لهما سبحانه، والنّكتة في ذلك: أنّ الحياة أشرفُ مِن الموت، فنُسب الإحياء لله ﷻ وحدَه، ولم يُنسب الموتُ إليه مباشرةً؛ تنزيهًا لله تعالى عن نسبة أدنى شُبهةِ شَرٍّ إليه، وفي هذا تأديبٌ للعباد في مخاطبته، بنسبة الخير دون الشّرّ إليه، لقوله ﷺ:

(1) الصّاويّ، الحاشية على الجلالين، ص: 556، والآلوسي، روح المعاني: 4/ 215.

«الْخَيْرُ كُلُّهُ في يَدَيْكَ، والشَّرُّ لَيْسَ إلَيْكَ»[1]، معَ اعتقاد أنّ الكلّ فعلُه، وتنبيهًا على أنّ الشّرّ ممّا ينبغي التّبرّؤ منه، والبُعدُ عنه[2].

علّة فصلِ جملة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾:

دلالـةُ الآيـات البـاهـرة على بديع القدرة

فُصِل قولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عن صدر الآية على سبيل الاستئناف البيانيّ؛ لأنّه خَرَجَ مخرج التّذييل لِما سبق، وفائدةُ التّذييل غالبًا توكيدُ المُذيَّل، وإبرازُ حُكمِه في صورةٍ كُلّيّة[3]، فأكّد اللّهُ سبحانه أنّ ما ذكره مِن إراءَة البرقِ، وإنزالِ الماء من السّماء، وإحياءِ الأرض به، آياتٌ دالّةٌ على بديع القدرة، وعجيبِ الحِكمة.

فائدةُ تتابعِ المؤكّدات في الآية:

المبالغة في تأكيد آيـاتِ العظَمة والقدرة

تتابع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عدّةُ مؤكّدات، مِنَ التّأكيد بـ﴿إِنَّ﴾، والجملةِ الاسميّة، وتقديمِ ما حقّه التّأخير، ولام التّأكيد، وكُلُّها مِن مؤكّدات مضمونِ جملة الإسناد، وقد جاء الكلامُ على أسلوب الخبر الإنكاريِّ؛ مبالغةً في التّأكيد على عظَمة ما ذُكِر منَ الآيات الجليلة.

معنى ﴿فِي﴾ في قوله: ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾:

اشتمالُ الآيـاتِ عـلى أوضـح البيّنات وأجلى الهدايات

استُعمل في قَوْله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ حرفُ الجَرّ ﴿فِي﴾ الدّالّ على الظّرفيّة، فقد اشتملت هذه الآيةُ الكريمة على آياتٍ عظيمة، ودلائلَ باهرةٍ على عظَمة اللّه سبحانه، وقدرتِه على الإحياء بعد الإماتة.

بلاغة التّعبير باسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾:

استعارة البُعد المـكـانيّ للبُعد المعنويّ في المَنزلَة

أُشيرَ في قَوْله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ إلى ما تقدّم ذِكْرُه مِن إراءة البرقِ وإنزالِ الماء من السّماء، وإحياءِ الأرض

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (771).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 482.
(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/ 386.

بعد موتها باسمِ الإشارة للبعيد ﴿ذَٰلِكَ﴾، وما فيه من معنى البُعد، مع قُرْب العهدِ بالمشار إليه؛ للإشعار ببُعْد رتبته وسُموّ منزلته، فهي آياتٌ عظيمة عاليةُ الرُّتبةِ في بيانها وظهورِ بُرْهانها، لا يُكْتَنَهُ كُنْهُها، ولا يُقادَرُ قَدْرُها[1].

نُكْتَةُ تقديمِ الجارّ والمجرور ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾:

تقدّمَ في قَوْله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الجارُّ والمجرور ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ على اسم ﴿إِنَّ﴾، وهو ﴿لَآيَاتٍ﴾؛ لنُكْتَةِ الاهتمام بما سبق ذِكْره في الآية الكريمة من أدلّة واضحةٍ، وبراهينَ ساطعةٍ دالّةٍ على قدرة الخالق على البعث والنّشور.

الاهتمام بأدلّة الوحدانيّة الواضحة، وبراهينِ القُدْرة السّاطعة

دلالةُ التّعبير بصفة العقل دون غيرها:

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ بصفة العقل دون غيرها، فقد نيط الانتفاع بهذه الآيات بأصحاب صفة العقل؛ لأنّ العقل المستقيم غيرُ المشوب بعاهة العنادِ والمكابرة كافٍ في فهم ما في تلك المذكورات من الدّلائل والحِكم، واستنباط أسبابها، وكيفيّة تَكَوُّنِها، ليظهر لهم كمالُ قدرةِ الصّانع وحِكمتُه[2]، وفيه تعريضٌ بالكفّار بسلب وصفِ العقل عنهم.

العقل المستقيم كافٍ في فهم الدّلائل والحِكم

دلالة المضارعة في الفعل ﴿يَعْقِلُونَ﴾:

جاء الفعل ﴿يَعْقِلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ بصيغة المضارع؛ لإفادة الدّوام والتّجدّد المناسب، لتكرّر هذه الآيات الكونيَّة في كلّ حين، ممّا يستوجب تكرار الاعتبار بهذه الآيات العظيمة.

تجدّدُ تعقّل الآيات للانتفاع بما فيها من هِدايات

نُكْتَةُ حذفِ مفعول ﴿يَعْقِلُونَ﴾:

حُذِفَ متعلّق الفعل ﴿يَعْقِلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 56.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 205.

تشريف صفةِ العقل في حدّ ذاتها، دونَ نظرٍ إلى أفرادها

﴿لَّآيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾؛ لنُكْتَةِ التّركيز على وجود فعلِ العقل في حدّ ذاته، لكونه المقصود مِن الكلام، دونَ التّعرّض لأفراد المعقولات، فالغرض العامّ من ذكر الفعل مجرّدًا الاقتصارُ على إثبات معنى الفعل؛ لإفادة الوجود المجرّد في الشّيء دون التّعرّض للمعمول[1]، ومعلومٌ أنّه إذا كان الكلام مُنصبًّا على غرضٍ من الأغراض، جُعِلَ سياقُه له وتوجّهه إليه، كأنّ ما سواه مرفوض مُطَّرَحٌ[2].

بلاغة التّذييل بجملة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾:

العقلُ مِلاك الأمور، ووسيلةُ استنباط كُلِّ مستور

جاء قولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾ على سبيل التّذييل، لما سبق من آياتٍ ومواعظَ من إراءَةِ البرق، وإنزالِ الماء من السّماء، وإحياءِ الأرض به بعد موتها، فختم الآيةَ بقوله: ﴿يَعۡقِلُونَ﴾؛ لأنّ العقل مِلاك الأمر في هذه الأبواب، وهو المُؤدّي إلى العِلْم، وأصحابُ العُقول يفهمون عن اللّه سبحانه حُجَجَه وأدلّتَه، فكما أنّه تعالى قادر على أن يحييَ الأرض بعد موتها، كذلك قادر على أن يحييَ الموتى ويبعثَ من في القبور، وقال بعض العلماء: العاقل من يرى بأوّل رأيه آخرَ الأمور، ويهتك عن مهمّاتها ظُلَم السّتور، ويستنبط دقائقَ القلوب، ويستخرج ودائعَ الغيوب[3].

سرُّ ختام الآية بقوله: ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾:

آيةٌ عظيمةٌ لِمن له أدنى عقل، وإن لم يتفكّر تفكُّرًا تامًّا

خُتمت الآيةُ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾، بخلاف الآية الأخرى التي خُتمت بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ وبالتّأمّل فيهما تظهر بلاغةُ القرآن في اختيار الألفاظ الملائمة للسّياق؛ فإنّه لمّا كان حدوثُ الولدِ من اقتران الذّكر وزوجه أمرًا عاديًّا مضطردًا، قليلَ الاختلاف، كان يتطرَّق إلى الأوهام

(1) الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 153.
(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 8.
(3) الهرريّ، حدائق الرَّوْح والرَّيحان: 22/ 129.

القاصرة أنَّ ذلك بالطّبيعة؛ لأنَّ المضطرد أقربُ إلى الطّبيعة مِن المُختلف، فاحتيجَ إلى التّفكّر للوصول إلى الاستفادة من هذه الآية؛ أمّا البَرقُ والمَطرُ فليسا أمرًا مضطردًا، بل يختلفُ، إذ يقع في بلدةٍ دون بلدةٍ، وفي وقتٍ دونَ وقتٍ، وتارةً يكون قويًّا، وتارةً يكون ضعيفًا، فهو أظهر في العقل دلالةً على الفاعل المختار، وهو آيةٌ لِمَن له عقلٌ وإن لم يتفكَّر تفكُّرًا تامًّا[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخوف والرّهبة:

عموم الخوف، واختصاص الرّهبة بطول الخوف واستمراره

يظهر الفرقُ بين (الخوف) و(الرّهبة) في علاقة العموم والخصوص بينهما، فالخَوْف عامٌّ في توقُّع مكروهٍ عن أمارة مظنونة أو معلومة، والرّهبة مخصوصةٌ بطول الخوف واستمراره، ومِن ثَمَّ قيل للرّاهب: راهبٌ لأنّه يُديم الخوف، وفَرَّقَ بينهما بعضُ العلماء بقوله: الخوف هو توقّع الوعيد، وهو سوط اللّه يُقَوِّم به الشّارِدين عن بابه، ويسير بهم إلى صراطه، حتّى يستقيمَ به أمرُ مَن كان مغلوبًا على رُشده، ومن علامته: قصر الأمل وطول البكاء، وأمّا الرّهبة فهي انصبابٌ إلى وجهة الهرب، (رهب) و(هرب) مثل (جبذ) و(جذب)، فصاحبُها يهْرُب أبدًا لتوقّع العقوبة، ومِن علاماتها: حركةُ القلب إلى الانقباض من داخل، وهربُه وإزعاجه عن انبساطه، حتّى إنَّه يكاد أن يبلغ الرَّهابَة في الباطن، مع ظهور الكمد والكآبة على الظّاهر[2]، وبما أنّ سياق الآية في ذِكر البرق وما قد ينجرّ عنه، أوْثِرَ لفظ (الخوف) لعمومه، ولا وجه للتّخصيص.

الطّمع والرّغبة:

يظهر الفرق بين (الطمع) و(الرغبة) في كون الطّمع نزوع

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/ 112، والجَمَل، الفتوحات الإلَهيّة: 3/ 389.
(2) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 261.

النّفسِ إلى الشّيء شهوةً له[1]، ولا يكون إلّا فيما قَرُب حصوله، أمّا الرغبة فهي طلبُ مُغيَّبٍ، هو على شكٍّ من حصوله، وتقتضي طَلَبَه؛ قال ابن القيّم في مدارج السّالكين: "الرغبةُ طلبٌ، فإذا قوي الطّمعُ صارَ طلبًا"[2]، وقد أوثر في هذه الآية لفظ (الطمع) لقرب نزول المطر بعد رؤية البرق.

لا يكون الطّمع إلّا فيما قَرُب حصوله

العقل والفكر:

يظهر الفرق بين (العقل) و(الفكر) في علاقة العموم والخصوص بينهما، فالعقل أعمّ من الفكر، والفكر من أدوات العقل، فيُطلق العقل على القوّة المتهيّئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عقل[3]، وأمّا الفكر فهو جولان تلك القوّة بحسب نظر العقل[4]، والعقلُ غريزةٌ يتهيّأ بها الإنسانُ إلى فهم الخطاب[5]، وهو نقيض الجهل[6]، ولهذا يُطلق وصفُ التّعقّل في ما يُعقل بالحواسِّ الظّاهرة، ونتيجتُه الفهمُ، وذَمَّ الكُفّارَ بأنّهم لا يعقلون مع ظهور آيات الوحدانيَّة، ويُطلَق التّفكُّرُ في الأمور الباطنة التي فيها خفاءٌ، بحيثُ يوصِلُ التّفكُّر فيها وإدامةُ النَّظر إلى الاعتبار، وقد أوثِرَ في هذه الآية لفظ (يعقلون)؛ لكون البرق واضحًا مُدركًا بحاسّة البصر ليس فيه خفاء.

التّعقّل في الأمور الظّاهرة، والتّفكر في ما فيه خفاء

(1) الرّاغب، المفردات: (طمع).
(2) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 73، وابن القيّم، مدارج السّالكين: 2/ 291.
(3) الرّاغب، المفردات: (عقل).
(4) الرّاغب، المفردات: (فكر).
(5) الفيّوميّ، المصباح المُنير: (عقل).
(6) الخليل، العين: (عقل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»